خطبة : قصة جريج العابد

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: 111]، ونقف اليوم ضمن سلسلة القصص القرآنية مع قصة نبوية قصّها لنا نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم فيها دروس وعبر، إنها قصة جريجٍ العابد.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج، (وذكر الثالثَ في روايات أخرى ولعلنا نتناوله في خطبة قادمة )

قال النبي صلى الله عليه وسلم: وكان جريجٌ رجلًا عابدًا، فاتخذ صومعةً فكان فيها، فأتته أمّهُ وهو يصلي، فقالت: يا جريج. فقال: يا رب: أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد، أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج. فقال: يا رب: أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته، فانصرفت،

فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج. فقال: أي رب: أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم: لا تميته حتي ينظر إلى وجوه المومسات الزواني،

فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغي يُتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتنّنه لكم. قال: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا، كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت،

فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه،

فقال: ما شأنكم؟. قالوا: زنيت بهذه البغي، فولدت منك. فقال: أين الصبي؟. فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي. فصلى، فلما انصرف أتى الصبي، فطعن في بطنه، وقال: يا غلام: من أبوك؟. قال: فلانٌ الراعي. قال: فأقبلوا عليه يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها وهي طين كما كانت. ففعلوا).

معاشر المؤمنين

أعظمُ عبرةٍٍ وأبلغُ درسٍ في هذه القصة هي أنَّ خيرَ العبادة ماكان عن فقه في الدين ، وفرق بين العابد والعابد الفقيه الذي يعبد الله على بصيرة ، يفهم مقاصد الدين ، ويفقه أولوياته ويدرك مراتب العبادات ، واجباتها ونوافلها والفاضل والمفضول منها .

فهذا العابدُ جريج الذي تفرّغ لعبادة الله في صومعته ، ووجد لذةَ المناجاةِ ، وصفاءَ الخلوةِ مع الله ، إختلطت المفاضلةُ عنده بين مواصلةِ العبادة أو إجابةِ نداءِ والدته ، والتي تكررت زيارتُها له ثلاث مرات ، وهي تناديه شوقا له ، فقال مناجيا ربه في حيرة : ربي أواصلُ صلاتي أم أجيب والدتي ؟

وكان الأولى به أن يجيبها ، فطاعةُ الوالدين من أوجب الواجبات وألزم الطاعات ، لاسيما وقد تكرر نداءُها له وهو في صلاة نافلة ،

قال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) [الإسراء:23].

لقد أغضب جريجٌ أمَّه فتعرض لدعوتها عليه، ودعوة الوالدين على أبنائهما مستجابة؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ثلاثُ دعواتٍ مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده". رواه الترمذي.

وهنا وقفةٌ وعظةٌ للأباء والأمهات أن يتجنّبوا الدعاء على أبنائهم لاسيما وقت الغضب فربما أُستجيب لهم ، فيكون بعد ذلك الندم والحسرة ، فليتعودّوا أن يدعو بالخير دوما

معاشر المؤمنين

تؤكد هذه القصة على فضلِ الصلة بالله ومعرفته في زمن الرخاء، وأن يكون للإنسان رصيدٌ من عملٍ صالح وبرٍّ وإحسان، ينجيه الله به في زمن الشدائد والأزمات، كما أنجى جريجاً وبرّأه من التهمة بسبب صلاحه وتقواه ، وأجرى له كرامةً بنطقِ الرضيعَ ببرائته من تهمة الزنا .

وفي القصةِ بيان حالِ الصالحين والأولياء من عباد الله ، الذين لا تضطرب أفئدتُهم عند المحن، ولا تطيشُ عقولُهم عند الفتن، بل يلجؤون إلى من بيده مقاليد الأمور، كما لجأ جريجٌ إلى ربه وفزع إلى صلاته، وكذلك كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وفي القصة -عباد الله - تحذيرٌ من التسّرع في الحكم على الناس ، لاسيما من عُرف بالصلاح قبل التثبت والتحّري للصواب ، فالتعجّل في الإتهام والإستجابةُ للشبهات والإشاعات يوقع المرءَ في إثم الإيذاء للمؤمنين ، لاسيما في عصرنا هذا الدي إنتشرت فيه أدوات التواصل ، وتجرأت الألسنُ في الإتهامات والإساءات ، وأتسعت الذممُ في جرأتها على خلق الله بالشتم والإساءة

قال تعالى وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (58 الاحزاب)

نسأل الله تعالى العافية في الدين والدنيا والآخرة ، وأن يعافينا من حقوق خلقه ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

في هذه القصة فضحٌ لمواقف أهل الفساد والفجور تجاه الصالحين والأخيار في كل زمان ومكان، ومحاولتهم تشويه صورتهم؛ وتلطيخِ سمعتهم،

فهؤلاء الساقطون في أوحال الرذيلة لا يطيقون حياةَ الطهر والعفاف ، لا يهنأ لهم بال، ولا يطيب لهم عيش إلا بأن يشاركَهم الآخرون في غيِّهم وفسادهم، بل ويستنكفون أن يكون في عباد الله من يستعلي على الشهوات ومتعِ الحياة الزائلة ، وحسنا ماقامَ به المسؤولون في بلادنا بمنع الفرق الأجنبية التي تروّج للفواحش والشدوذ والإلحاد .

كما تكشف قصة جريج -عباد الله -عن جانب من مخططات الأعداء في استخدامهم لسلاح المرأة والشهوة، لشغل الأمة وتضييع شبابها، ووأد روحِ الغيرة والإستقامة، وهو مخطط شيطاني قديم وإن تنوعت وسائله في الفتنة والإغواء ، قال تعالى " يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " (27 الأعراف)